شرح كتاب حلية طالب العلم

الشيخ محمد العويد – رحمه الله –

الفصل الأول للعام ١٤٣٨

معهد العلوم الشرعية العالمي
تابع لملتقى طالبات العلم www.t-elm.net

الدرس الثامن

سادسًا: التحلي بالعمل

قال المؤلف رحمه الله:

٤٤- من علامات العلم النافع:

١- العمل به.

٢- كراهية التزكية والمدح والتكبر على الخلق.

٣- تكاثر تواضعك كلما ازددت علمًا.

٤- الهرب من حب الترؤس والشهرة والدنيا.

٥- هجر دعوى العلم.

٦- إساءة الظن بالنفس وإحسانه بالناس تنزهًا عن الوقوع بهم.

الشرح: علامات العلم النافع كثيرة، وقد ذكر المؤلف رحمه الله أهمها:

أولاً: العمل به: والعمل ثمرة العلم، والإنسان سوف يسأل عن علمه هل عمل به أم لا؟ وقد ثبت عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة، حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه ما فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن جسمه، فيما أبلاه» رواه الترمذي.

وقد عاتب الله المؤمنين الذين لا يفعلون ما يقولون، (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣). سورة الصف

وقد ثبت عن أسامة بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "يُؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه" متفق عليه.

ثانياً: كراهية التزكية والمدح وغيرها من الدلائل على الإخلاص فمن أراد بعلمه الدار الآخرة وفقه الله للإخلاص، وكره إليه ثناء الناس.

ثالثاً: التواضع من نعم الله على طالب العلم، لأن البعض من طلاب العلم يغتر بعلمه فيكتسب التكبر من حيث لا يشعر، فيتكبر ويرى نفسه أعلى رتبة من الناس.

رابعاً: الهرب من حب الترؤس والشهرة: العلماء الربانيون يهربون من الشهرة، ولا يحبون مواطنها، ولا يترأسون المجالس إلا بقدر المصلحة الراجحة، لأن بعض المجالس تخلو من الفائدة، وربما ترأسها جاهل يفتي ويوجه بغير علم فيضل الناس، فلا يجد العالم بداً من التصدر للمصلحة. وإلا فهم لا يحبون الصدارة صوناً لعلمهم وحفظاً له.

خامساً: هجر دعوى العلم: قال الله تعالى: (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا).

والعلماء الراسخون يستشعرون قلة علمهم كلما ازدادوا علماً، قال الشافعي رحمه الله:

كلما أدبني الدهر ... أراني نقص عقلي

وإذا ما ازددت علما ... زادني علما بجهلي

سادساً: إساءة الظن بالنفس وإحسانه بالناس: وهذا ليس على إطلاقه، لكن إساءة الظن بالنفس من باب الاعتراف بالتقصير وحاجتها إلى المزيد من العلم والعمل مطلب للطالب لكن الإغراق في ذلك ربما يصيب النفس بالانتكاس وضعف الهمة، فالاعتدال في مثل هذه الأمور مطلب ملح.

قال المؤلف رحمه الله:

٤٥- زكاة العلم:

أد (زكاة العلم) صادعًا بالحق، أمارًا بالمعروف، نهاءً عن المنكر، موازنًا بين المصالح والمضار، ناشرًا للعلم وحب النفع وبذل الجاه والشفاعة للمسلمين في نوائب الحق والمعروف، ولشرف العلم؛ فإنه يزيد لكثرة الإنفاق وينقص مع الإشفاق، وآفته الكتمان، ولا تحملك دعوى فساد الزمان وغلبة الفساق وضعف إفادة النصيحة عن واجب الأداء والبلاغ؛ فإن ذلك مما يفرح الفساق ليتم لهم الخروج عن الفضيلة ورفع لواء الرذيلة.

الشرح: العلم يكسب صاحبه معرفة الأحكام، والحجة الشرعية، وطالب العلم لا يتوقف جهده على مجرد الطلب، فإن للعلم زكاة ينبغي عليه أداؤها. ومن زكاة العلم ما يلي:

تعليمه للناس وقد ثبت عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» رواه البخاري.

الدعوة إلى الله تعالى بما معه من علم، وقد ثبت عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» رواه البخاري.

قال المؤلف رحمه الله:

٤٦- عزة العلماء:

صن العلم وعظمه واحم جناب عزّه وشرفه، فبقدر ما تبذله في هذا يكون الكسب منه ومن العمل به، وبقدر ما تهدره يكون الفوت؛ فلا تسع به إلى أهل الدنيا، ولا تقف به على أعتابهم، ولا تبذله إلى غير أهله وإن عظم قدره، وإياك أن يمتطيك السفهاء ويتمندل بك الكبراء فتلاين في فتوى أو قضاء أو بحث أو خطاب، وإن أردت الشواهد على ذلك فعليك بقراءة التراجم والسير، واحفظ قصيدة القاضي الجرجاني في ذلك.

الشرح: العلم درجة عالية في الشرع، وطالب العلم يرتقي في سلم الشرف، وحياة العلم أفضل حياة يعيشها الطالب؛ لأنها ميراث الأنبياء، فينبغي للطالب أن يتصور هذا حق التصور وأن يترفع عن مقاصد الدنياً من جمع الأموال والجلوس مع المشهورين بالمال والجاه، كما ينبغي له أن يترفع عن مجالس السفهاء والجهلة، وأصحاب الألفاظ السوقية والمعاني السيئة.

قال المؤلف رحمه الله:

٤٧- صيانة العلم: إن بلغت منصبًا فاعلم أنما وصلت إليه بفضل الله ثم بسبب علمك بلغت ما بلغت من ولاية في التعليم أو الفتيا؛ فلا تجعل الأساس حفظ المنصب؛

فتطوي لسانك من قول الحق، ولا يحملك حب الولاية على المجاراة؛ فحافظ على قيمتك بحفظ دينك وعلمك وشرف نفسك بحكمة ودراية وحسن سياسة.

الشرح: طلب العلم ينبغي أن يكون الهدف منه سامياً، وألا يكون لغرض الترؤس في المجالس ونيل المناصب؛ لأن العلم أشرف من التعلق بالدنيا وزخرفها.

وكلما كان الهدف الأسمى نصب العين، كان ذلك أدعى إلى حفظ النفس من سقطات التعلق بالمناصب وغيرها.

قال المؤلف رحمه الله:

٤٨- المداراة لا المداهنة:

المداهنة خلق منحط؛ أما المداراة فلا، لكن لا تخلط بينهما فتحملك المداهنة إلى خلق النفاق مجاهرة، والمداهنة هي التي تمس دينك.

الشرح: المداراة فيها اكتساب ودفع عداوة للمخالف، قال تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} فصلت ٣٤.

وثبت عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: «بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ» فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَائِشَةُ، مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ» متفق عليه.

وأما المداهنة فهي من النفاق، قال ابن حجر في فتح الباري ١٠/٥٢٨: وَظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْمُدَارَاةَ هِيَ الْمُدَاهَنَةُ فَغَلَطَ لِأَن المداراة مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا وَالْمُدَاهَنَةُ مُحَرَّمَةٌ وَالْفَرْقُ أَنَّ الْمُدَاهَنَةَ مِنَ الدِّهَانِ وَهُوَ الَّذِي يَظْهَرُ عَلَى الشَّيْءِ وَيسْتر بَاطِنه وفسرها الْعلمَاء بِأَنَّهَا مُعَاشَرَةُ الْفَاسِقِ وَإِظْهَارُ الرِّضَا بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ عَلَيْهِ وَالْمُدَارَاةُ هِيَ الرِّفْقُ بِالْجَاهِلِ فِي التَّعْلِيمِ وَبِالْفَاسِقِ فِي النَّهْيِ عَنْ فِعْلِهِ وَتَرْكُ الْإِغْلَاظِ عَلَيْهِ حَيْثُ لَا

يَظْهَرُ مَا هُوَ فِيهِ وَالْإِنْكَارُ عَلَيْهِ بِلُطْفِ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَلَا سِيَّمَا إِذَا احْتِيجَ إِلَى تألفه وَنَحْو ذَلِك.

قال المؤلف رحمه الله:

٤٩- الغرام بالكتب:

لقد اشتد غرام الطلاب بجمع الكتب مع الانتقاء؛ لمعرفتهم لأهمية طلب العلم وحصول اللذة والسرور بقدر تحصيله، وظهور النقص بقدر نقصه، وفي هذا أخبار تطول، وإياك أن تشحذ مكتبتك بكتب المبتدعة؛ فهي غثاء وتشويش على الفكر وسم ناقع فاحذرها.

الشرح: الاهتمام بإيجاد مكتبة في البيت تكون عامرة بالكتب النافعة لابد منه لطالب العلم، وليحذر من الكتب التي لا تنفع، ككتب المبتدعة أو الكتب الساقطة وما أكثرها، وليحرص على تنقية مكتبته منها.

قال المؤلف رحمه الله:

٥٠- قوام مكتبتك:

عليك بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وكذا كتب ابن عبد البر وابن قدامة والذهبي وابن كثير وابن حجر وابن رجب والشوكاني والصنعاني ومحمد بن عبد الوهاب ومحمد الأمين الشنقيطي.

الشرح: أهم ما تشتمل عليه المكتبة كتب السلف، كمؤلفات من ذكرهم المؤلف وغيرهم، ولابد أن تشتمل على كتب السنة أو بعضها وأهمها صحيحا البخاري ومسلم رحمهما الله، وبعض كتب العقيدة وشروحات الحديث والفقه، وغيرها مما يؤسس عند الطالب منهج السلف على فهمهم.

قال المؤلف رحمه الله:

٥١- التعامل مع الكتاب:

عليك بمقدمة الكتاب؛ فإنها كاشفة عن اصطلاح مؤلفه، وبذلك تحصل الفائدة من الكتاب.

٥٢- ومنه:

أن لا تدخل في مكتبتك الكتاب حتى تمر عليه جردًا بقراءة مقدمته وفهرسه ومواضع منه؛ فربما مر زمان وفات العمر دون النظر فيه، وهذا مجرب.

الشرح: الفائدة من مقدمة الكتاب أنها تعطي القارئ نبذة مهمة عن منهج المؤلف وطريقته في الكتاب، كما أنها تكشف للقارئ جودة الكتاب من عدمه وهذا في الغالب. ولذا فقراءة المقدمة مهمة.

قال المؤلف رحمه الله:

٥٣- إعجام الكتابة:

ويكون بأمور:

١- وضوح الخط.

٢- رسمه على ضوء قواعد الرسم – الإملاء.

٣- النقط للمعجم والإهمال للمهمل.

٤- الشكل لما يشكل.

٥- تثبيت علامات الترقيم في غير آية أو حديث..

الشرح: المراد بإعجام الكتابة إيضاحها بما يلزم، كوضع حركات التشكيل ومتابعة الحروف الغير منقطة ووضع النقط عليها.